ذكرى شوقى

عُنيت « ندوة الثقافة » بالنيابة عن جمعياتها الأدبية (أبولو ، وجماعة الأدب المصرى ، ورابطة الأدب الجديد بالاسكندرية ، واتحاد الأدب العربى) بذكرى شوقى لمناسبة مرور عام على وفاته ، فأقيمت حفلة أدبية فى نادى الصحافة برئاسة الاستاذ خليل مطران مساء ١٣ أكتوبر الماضى اشترك فيها الاساتذة اسماعيل سرى الدهشان وأحمد علام والدكتور على العنانى ومحمد الهمياوى وصالح جودت والدكتور ابراهيم ناجى والدكتور أبو شادى ، وأقيمت حفلة أخرى كبيرة فى الاسكندرية نظمتها جماعة الأدب المصرى واشترك فيها الاساتذة خليل مطران واحمد على عوض والدكتور ابراهيم ناجى والدكتور زكى مبارك وحسن كامل الصيرفى ومختار الوكيل وغيرهم من أفاضل الأدباء ، ثم أقيمت حفلة ثالثة فى مسرح رمسيس مساء ١٩ أكتوبر اشترك فيها الاساتذة خليل مطران والدكتور ابراهيم ناجى وابراهيم المصرى وصالح جودت ومُثلت فيها رواية مجنون ليلى . وفى صباح يوم ١٤ أكتوبر توجه أعضاء « ندوة الثقافة » الى قبر الفقيد العظيم زائرين مترحمين . وقد كانت جميع الحفلات رائعة خليقة بذكرى عبقرية شوقى وماثره ، وكانت أروعها الحفلة العظيمة التى أقيمت فى الاسكندرية .

* * *

ونحن ننشر فيما يلى مختارات مما قيل فى هذه الحفلات ، وقد ظهرت تفاصيل كافية عن هذه الحفلات فى الصحف :—

— ١ —

خطبة الاستاذ مطران

فى حفلة « جماعة الأدب المصرى » باسكندرية

ان المناحة التى تجددونها هى عيدٌ للعبقرية . العبقرية فناء فى سبيل الخلود ، لا تعمل بطبيعتها الا لتكون ذكرى تنفع العالمين ، فهى تأبى النسيان لا لأنه جحود لفضلها بل لأنه ضياع لما أرخصت دونه أغلى قواها . ما فرحت وما تألمت إلا لتحيى فضيلة أو لتقضى على رذيلة . تبحَّرت وتعمقت فى التفكير وذهبت كل مذهب جديد

فى الخلق والتقدير ، انما تبغى بعنائها الشديد وصبرها الجميل أن يدوم الشعور بما شعرت به وأن تتوارث الحكمة التى ابتكرتها أو آثرتها مستأنفةَ الحياةِ على مدى الاجيال ومتصلةَ السببِ ما تعاقبت الادهار ليظل ما كان من عبر الماضى غيرَ منقطع عن فِطن الآتى . مَثَلُها مثلُ المجارى الكهربائية فى الرَّاد تُحمِّلُها العبقرية صُوَرَها أو أصواتها فتمر بآلاف التيارات التى تعارضها وتؤدى رسالتها بالصوت أو بالصورة الى من استعدَّ لتلقيها . وما تفعله الآن أمواجُ الأثير خلال الأمكنة كانت العبقرية من بدء الوجود تفعله خلال الازمنة

أيها المحيون لذكرى شوقى ! انكم لن تبعثوا رميمَه ولكنكم أنفسكم تُحيون ليس شوقى فى حاجة الى اكرامكم ، وانما انتم فى حاجة الى بقاء روحه بينكم . يسركم أو يحزنكم أو يواسيكم أو يعلمكم ما يجب أن تعلموا من أسرار الحوادث ومن عظات الوقائع قديمها وحديثها .

سلام عليكم أيها الفتيان الذين يحفظون غيباً للمجد فيهيئون بهذا الحفظ أسبابا لضروب جديدة من المجد ! سرعان ما كان الميت ، وإن جل قدره ، يموت فى مصر وشدَّ ما كان يموت لسرعة انتشار غمامة النسيان فيها وكثافة غياهبها ! أما أنتم فتأبون أن يظل فى طبيعتكم هذا الضعف المتأتى من خلتين قديمتين : تجنُّب التكاليف ما استطيع تجنبها واقناعُ النفس بان كل ما يَعْدو العيشَ لليوم فاليوم مشقةٌ غيرُ مجدية .

أنتم آمالُ الغد ولم يَرُعكم أن تكونوا أبناء الواجب ، والواجبُ محضٌ ثقيل يسومكم اليقظة الدائمة والعملَ غير منقطع وتوقُّل الثنيَّة بعد الثنيَّة لترِدُوا موردَ الحياة العليا ، موردَ الحياة المعنوية الشريفة ، موردَ الفخر والشرف ، مهما تكابدوا دونه من نصب ، ذاكرين تلك الآية الشريفة الخليقة بان تكون شعاراً لكل أمة متقاعسة : « ان الله لا يغيروا ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . فبارك الله فيكم من طليعة خير لمستقبل هذه البلاد العزيزة ! ولئن تكن حفلتكم التى تجددونها اليوم أثراً من آثار عبقرية شوقى لحقَّ لى فيها القول : رحم الله ذلك الذى بعث فيكم هذه الاريحية وحيّاه فى كريم جواره بأحسن تحية ؟

خليل مطران

— ٢ —

ساعـــة التذكار

(القيت فى حفلة جماعة الأدب المصرى باسكندرية)

شَجنٌ على شَجنٍ وحرقةُ نارِ ... مَنْ مُسعدِى فى ساعةِ التذكارِ
قمْ يا أميرُ ! أفِضْ علىَّ خواطراً ... وابعث خيالكَ فى النسيمِ السارِى
واطلعْ كعهدك فى الحياة فراشةَ ... غراءَ حائمةً على الانوارِ
يا عاشقَ الحرية الثكلى أفقْ ... واهتفْ بشعرك فى شبابِ الدارِ
يا مَنْ دما للحقِّ فى أوطانه ... ومضى ليهتف فى ديار الجارِ
الشامُ جازعةٌ ومصرُ كعهدها ... نهبُ الخطوبِ قليلةُ الانصارِ
والناسُ اهواءٌ كخطبكَ فيهم ... (عجزتْ مواردُهم عن الاصدارِ)
والحظُّ أطمارٌ كما شاء البلى ... والعيشُ رثٌّ والسنونُ عوارِ

* * *

عامٌ مضى ! يا لَلزمانِ وطيّه ... فينا ويا لسواخرِ الاقدارِ !
عامٌ مضى وكأنّ أمسَ نعيُّه ... يا ما أقلَّ العامَ فى الاعمارِ !
أينَ الامارةُ والاميرُ ودولةٌ ... مبسوطةُ السلطان فى الامصارِ
خمسون عاماً وهى وارفةُ الجنَى ... تحت الربيعِ دؤوبةُ الإثمارِ !
مَدَّ الخريفُ على الرياض رواقَهُ ... ومضى الربيعُ الضاحكُ النوّارِ !

* * *

هيهات أنسى قبلَ بينك ساعةً ... جمعتْ صحابَك فى غُروب نهارِ[1]
والشمسُ فى سقم الغروبِ وأنتَ فى ... لونِ الشحوب معصفرٌ ببهارِ
منحتْ وقد ذهبت شعاعاً غارباً ... كسناكَ طوّافاً على السمّارِ
تشكو لىَ الضعفَ الملمَّ لعل فى ... طبِّ مُقيلاً مِن وشيكِ عثارِ

(١) يشير الى اجتماع مجلس (جمعية ابولو) فى كرمة ابن هانى يوم ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٢

وكشفتَ عن متهدِّمٍ جالَ الردى متهجماً فى صَرحهِ المنهارِ
فرأيتُ ما صنع الضنى فى صورةٍ حالتْ ، وخلى هيكلاً كإطارِ
ووحمتُ ! ألمحُ فى الغيوب نهايةَ وأرى بعينىَ غايةَ المضمارِ
وارى النبوغَ وقد تهاوى نجمُه والعبقريةَ وهى فى الإدبارِ !
أو لم يكن لكَ من زمانك ذائداً وثباتُ ذهنٍ ماردٍ جبارِ ؟
أو لم يكن لك من حمامك عاصماً ذاك الجبينُ مكللاً بالغارِ ؟
ولّيتَ فى أثر الذين رثيتهم وأقمتَ فيهم مأتمَ الأشعارِ
وسقيتَ من كأسٍ تطوف بها يدٌ محتومةُ الأقداحِ والادوارِ
والدهرُ يقذف بالمنايا دفقاً فمضيتَ فى متدفقِ التيارِ

* * *

فى ذمةِ الاجيالِ ما غنتْ به قيثارةٌ سحريةُ الأوتارِ
صدحتْ بألحان الحياة ووقّعتْ أنغامَها المحجوبةَ الاسرارِ
والفنّ ما حاكى الطبيعةَ آخذاً منها ومن إعجازها بغرارِ
مسترسلا رحباً كعينِ ثرّةٍ شتى السيولِ سحيقةِ الاغوارِ
متعالياً حتى الاشعة مشرقاً ! متألقاً كالكوكبِ السيارِ !

* * *

شوقى ! نظمتَ فكنتَ برّاً خيِّراً فى أمة ظمأى الى الأخيارِ !
أرسلتَ شعرك فى المدائن هادياً شبهَ المنارِ يطوفُ بالاقطارِ
تدعو الى المجدِ القديم وغابرٍ طىّ القرون مجلّلٍ بوقارِ !
تدعو لمجدِ الشرقِ : تجعل حبَّه نصبَ القلوبِ وقبلةَ الانظارِ !
تبكى العراقَ اذا استبيح ولا تضنّ على الشآمِ بمدمعٍ مدرارِ
وترى الرجالَ وقد أُهين ذمارهم جرحوا لصونِ كرامة وذمارِ
فلو استطعتَ مددتَ بين صفوفهم كفّاً مضرجةً مع الأحرارِ

* * *

ما زلتَ تبعثُ فى قريضكَ ثاوياً ... أو ماضياً حَفِلاً بكلِّ فخارِ
حتى اتُّهمت فقالَ : قومٌ شاعرٌ ... ناجى الطلولَ وطاف بالآثارِ !
فجلوتَ ما لم يشهدوا ، ورسمت ما ... لم يعهدوا من معجز الافكارِ !
شيخٌ يدبّ الى الاصيلِ وقلبُهُ ... وجنانُهُ فى نضرةِ الاسحارِ
ويحسُّ تبريحَ الصبابةِ واصفاً ... مجنونَ ليلى فى سحيقِ قفارِ
ويروح يبعث كليوباترا ناشراً ... تلك العصورَ وطيفها المتوارى !
ويرى الحياةَ الحبَّ والحبَّ الحيا ... ةَ ! هما شعارُ العيش أىُّ شعارِ

ابراهيم ناجى

* * *

— ٣ —

رسالة شوقى

(القيت فى جماعة الأدب المصرى باسكندرية)

فى هدأةِ الفجرِ ، والاكوانُ تغمرُها ... أحلامُها ، وتُناجيها أمانيها
وللسكونِ ترانيمٌ مُرجَّعَةٌ ... كأنها صلواتٌ فى تناجيها
والشاعرُ الساهرُ المُصْغى لآلهةٍ ... تُوحى اليهِ معانى الخلدِ يرويها
يُصْغى فيسمعُ فى الآفاقِ وسوسةً ... كأنّها الطيرُ سكرَى فى تناغيها
يُصغى فيسمعُ ألحاناً مُوقَّعَةً ... من جانب الفجرِ تسمو فى قوافيها
رسالةٌ مِن وراء الغيبِ هابطةٌ ... مِن شاعرٍ خطرتْ أشعارُهُ تِيها
أقامتِ اللغةُ الفُصحَى لهجرتهِ ... أحزانَها ، وتجلتْ فى مراثيها
ناجَى بها الارضَ من عَلْيائه فاذا ... فى الارضِ من رُوحهِ نورٌ يواسيها

* * *

« بنى الحياةِ ! على الارض التى غمرتْ بقاعَها نَزَواتٌ من دياجيها
جُزْنا الدياجى ، وودَّعْنا مغاورَها وما صبونا الى أيامنا فيها
كنَّا نعانقُ أطيافاً محلِّقةً إنْ مَسَّها اللَّحْظُ ذابت فى تلاشيها
فأصبحتْ تلكمُ الأطيافُ خالدةً مَلْمُوسَةً تتغالى فى تجلِّيها
إنَّ الحياةَ وما أعطتْ وما سَلبتْ إنْ دقق المرءُ فيها من نواحيها
لم يلقَ إلاَّ خِداعاً من مُبَهْرَجةٍ يبدو الشَّبابُ رِياءً فى تصابيها
أمَّا المماتُ فأحلامٌ قد اجتمعتْ بعد التَّناثرِ فى أجْفانِ رائيها
فخدِّرَنْهُ ، فلم يخْفِقْ ليقظتِهِ وحَرِّرَنْهُ من الدنيا وما فيها
حتى اذا ما صَحَا ألفى رغائبَهُ قناعةً وسُمُوّاً عن مراميها
إن الحياةَ لألفاظٌ منمَّقةٌ ليست تُعَبِّرُ إلاَّ عن مرائيها
وما وراء الدُّنَى ؟ حار التساؤلُ فى تلك الحياةِ ، وحِرنا فى معانيها
حتى بلغنا وراء الأفقِ فاتسعتْ آفاقُنا ، فعرفنا كيف نحكيها
فبانَ ما كان يزهو نُورُهُ : ظُلماً وأصبحَ الحسْنُ والتجميلُ : تشويها
وأصبحتْ صلواتُ الناسِ : مَهزلةً وأصبحَ الصمتُ عند الله : تأليها
وكلُّ ما كان يُشْدَى من حناجرهم : لَغْواً، وكلُّ جلالِ الأرض تسفيها ! »

* * *

يا شاعرَ الخلدِ واتينا بما عزَفتْ قيثارةُ الله لحناً من أغانيها
إنّا لفى ضجَّةٍ صمّاءَ طاغيةٍ يذكو اللهيبُ علينا مِن مَوَاليها
يا مُودِعَ الفنِّ ألواناً قد امتزجتْ بها الحياةُ فجاشت فى حواشيها
ومُسْمِعَ الأفقِ الصَّخْرِىِّ أغنيةً يَستلهمُ النُّورَ منها إذْ يغنِّيها
وساقَ الشرقِ خمراً من عُصارته لن يرغبَ الشرقُ يوماً عن تساقيها
دَعْنى أعانقُ اطيافَ الخلودِ كما عانقتَها ، وأغنِّى فى مجاليها
ما أحقرَ العيْشَ لولا أنَّ لى أملاً فى جنَّةٍ أتسلَّى فى مَغانيها
أنسى لديها زئيرَ الريحِ إنْ عَصَفتْ فى شاطىء اليمِّ أو فحَّتْ أفاعيها

يعانقُ النُّورُ أطيافى فيغمرها ويطلعُ الصُّبْحُ من ليلى فيخفيها
ما العمرُ إلاّ طيورٌ فى تنقُّلِها إنْ لوّحَ اللهُ هامت فى أعاليها!

حسن كامل الصيرفى

— ٤ —

سخرية الموت بالشاعر

(القيت فى جماعة الادب المصرى بالاسكندرية)

فى ظلامِ القبورِ نجمٌ تلالاَ بعث النور يمنةً وشمالاَ
ونهادَى من عرْشِ مملكة الموتِ على الكونِ رَهْبةً وجلالاَ
يكْشِفُ الضوْءُ عن مفاتنِ أُخْرانا ، ويَقْوَى فيبعثُ الآمالاَ
ويَقُصُّ المآلَ بعد حياةٍ تُرْهِقُ المرءَ حَيْرَةً وخبالاَ

* * *

ذاكَ « شوقى » مِن بعدِ معركةِ الدُنيا تراءى مع الظلامِ خَيالاَ
مُرْسِلُ الحكمةِ الرصينةِ امْسَى حِكْمةً سوف تُعْجِزُ الأجيالاَ
اسمعوه معى يَبُثُّ جَوَاهُ فى قريضٍ حَوَى الهوَى والجمالا

* * *

« يا بلاداً وَدّعْتُها وفُؤادِى ليس يسلو أيكاتها والظلالاَ
كلما أذكر « الجزيرة » يهفو لنخيل بها سما وتعالى
واذا ما ذكرتُ « كَرْمَ ابن هانى » صاح : ويحى ! كيف ارتضينا المآلاَ
قد قَنِعْنَا بوَحْشَةٍ وظلامٍ وانفردنا بحسرةٍ تتوالى
كنتُ قبل المماتِ أحسبُ فيه مُتْعَةً تُسْعِدُ الفتى ونَوالاَ
وهُدُوءاً من بعدِ معركةِ الدنيا ، وخيراً مُوَافِياً سَيَّالاَ
وصعيداً به الفنونُ جميعاً تَتَبَارَى أَنَاقَةً وجَمالاَ

فإذا الموتُ عاصفٌ من دمارِ هبَّ ليلاً فحطَّمَ الآمالا
وهوى للترابِ كوكبُ ذهنى ولقد كان فى السما جوّالا
كانَ يقظانَ فى الدجى للقوافى دأبُه صيدُ ما يعزُّ منالا
ما عصانى فى الشعرِ معنىً عزيزٌ لا ولا ازورَّ عن بيانى ومالا
لم تكن صَنْعَتِى القريضَ ، ولكنْ ذاك وحىٌ من الإله تعالى
كيف حالُ الربوع من بعد أن مِلْنَا مع الموت وألتحفنا الرمالا ؟
كيف حالُ القريضِ أ هَلْ صار فذّاً عبقرياً ؟ وهل تسامى مِثالا ؟ . ! »

* * *

ذاك ما قيل والشعاعُ دفوقٌ والظلامُ المنيخُ ذابَ وشالا
وإذا الفجرُ باسمٌ ، وإذا الطيرُ طروبٌ ، يُزجى الغِناءَ ابتهالا
وإذا نحنُ ، لا خيالَ ولا نجمَ . نُلاقى من الحياةِ الوبالا
أتراه قد كان يخدعُنا الوهمُ ، وكم قَبْلُ قد أضلَّ رجالا ؟
لا ! فذاكَ الذى شهِدْنا صحيحٌ ليس يُزجى ذاكَ الخيالُ الضلالا
ما عهِدْناه فى الحياةِ كذوباً لا ، وما كان خادِعاً ختّالا
هُوَ واللهِ مُرْسَلٌ ونبىٌّ أكسبَ الشعرَ رَوْنَقاً وجلالا
شِعْرُه دعوةُ السلامِ إلى الخلقِ جميعاً ، وَضاءةً تتلالا

* * *

يا نبىَّ البيانِ ، مِصْرُ كما شِمتَ وفاءً ولَهْفَةً واشتعالا
أنت حَىٌّ ما بيننا ، وسيبقى ذلك الشعرُ يَفْتِنُ الأجْيالا
خالدٌ أنتَ فى القريض ، وهل كان لِيَلْقَى لحنُ الخلودِ الزوالا ؟
ذلك الشعرُ قُبْلةُ الله للدنيا تُعَزِّى مصيرَها والمآلا
هبطتْ من ذُرَى « الأُلْمُبِ » على الكَوْنِ ، تَهادَى رَشاقَةً ودَلالا

أسكرتْ أنفسَ الأنام فمادوا وجثوا عند وقعها إجلالا
ثم طارتْ إلى « الأُلمْبِ » فأضحى بسناها يعلو « الأُلمْبُ » الجبالا

صفاء الوكيل

— ٥ —

حياة الخلود

(القيت فى حفلة نادى الصحافة بالقاهرة)

عادتْ كعودِ المدمنِ ينوى السلوَّ ولا يَنى
تحنو علىَّ فهزَّنى لعناقِها الشوقُ العريقْ
ذكرَى كذكرِ المؤمنِ يحلو له فى الموهنِ
إمَّا يلازمه فِنى أخْذاً بأخذهِ الرَّفيقْ
فالسحرُ تنفثُه المُقَلْ والوجدُ يعبث بالأَجلْ
والقلبُ نوَّمه الخبلْ نومَ الوسيط فلا يفيقْ
فنكرتُ فىَّ معالمى وسبحتُ سَبْحَةِ حالِم
مِن عالَمى لعوالم فيها لكلّ مُنًى طريقْ
وكأن جسمىَ ذرَّةٌ فى الريح أو هو نفثةٌ
وتسلمتها نسمةٌ تَلِجُ الأثيرَ الى الرفيقْ
فرأيتُ شوقى شاديا والروحَ صفّاً مُصغيا
ومضى سَناه حياليا فصُعِقتُ من قدسِ البريقْ
ورأيت أن أتقدما فرهبْتُهُ فتلثَّما
وملكتُ جأشىَ بعد ما صوَّحتُ كالغصن الوريقْ
حَيَّيْتُهُ فتبسّما وسعى الىَّ فسلَّما
وطلبتُ أن يتكلما ويعيدَ لى نظمَ العقيقْ

قال : انقضتْ لغةُ الدُّنَى فالحسنُ والحسنى هُنا
غيرُ الذى فى كوننا كنَّا نصوّرُ يا صديقْ
خمرٌ هنا ولها دبيبْ خمرٌ بلا دنّ تطيبْ
فالروحُ عن جسمى غريبْ من كل جارحة طليقْ
يُسقى وليس له قَدَحْ ويُحِسُّ مثلك بالفرحْ
فاذا التمستُ له الشبحْ لا غيرَ شفافٍ رقيقْ
سرٌّ يَشعُّ له سناءْ واذا قبضتُ فكالهواءْ
لا شىءَ لكن فى بقاءْ يخفى على الحىِّ الغريقْ
درٌّ هنا لا درّكمْ والشعرُ ليس كشعركمْ
والخُلقُ غيرُ خَلاقِكم وشرابنا ذاك الرحيقْ
الحورُ والولدانُ فى مَشتايَ والمتصيَّفِ
حولى وعذبُ القَرْقفِ يُنسى من الدنيا الحريقْ
وقفَ الخطيئةُ خادمى والبحترىُّ مُلازمى
وأبو نواس منادمى نتذاكر العهدَ العتيقْ
ولقد أُقيمُ ببرزخى مع حافظٍ خيرِ الأخِ
نأسَى على الشرقِ الرَّخى ما زال فى رقٍّ وضيقْ
ودعاءُ قومىَ حفَّنى فظفرتُ بالنُّزلِ الهنى
ورضًى من الله الغنى هذا هو الفوزُ الحقيقْ
فالشرقُ شيخٌ سيِّدٌ وبمصر شعبٌ أيِّدُ
والحرُّ تأسرُه اليدُ فانا لهم ميتاً رقيقْ
ارجعْ لقومك حَيِّهمْ عنى ونادِ بحيِّهمْ
أنى التمست لحيِّهمْ إن مات منزلةً تليقْ

واذا بشخصى يجتلى قومى بهذا المحفل
جزعينَ للمترحّل جزعَ الصديق بَكَا الصديقْ

اسماعيل سرى الرهشاه

— ٦ —

دين الأحياء

(القيت فى حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة)

دينٌ . . . وهذا اليومُ يومُ وفاء كم مِنَّةٍ للميت فى الأحياء !
إن لم يكن يُجزَى الجزاءَ جميعه فلعلّ فى التذكار بعضَ جزاء
يا ساكنَ الصحراء منفرداً بها مستوحشاً فى غربةٍ وتنائى
هل كنتَ قبلاً تستشفّ سكونها وترى مقامك فى العراء النائى
فأتيتَ — والدنيا سرابٌ كلها — تروى حديثَ الحبّ فى الصحراء
ووصفتَ قيساً فى شديد بلائه ظمأَن يطلب قطرة من ماء
ظمأَن حين الماء ليلى وحدُها عزّت عليه ولم تُتح لظماء !
هيمان يضرب فى الهواجر حالماً بظلال تلك الجنة الفيحاء
فاذا غفا فلطيفها ، واذا هفا فلوجهها المستعذبِ الوضاء
يا للقلوب لقصةٍ بقيت على قدم الدهور جديدَة الانباء
هى قصة الطيف الحزين ، وصورةُ ال قلب الطعين ، مجللاً بدماء
هى قصةُ الدنيا ، وكم من آدم منا له دمعٌ على حوّاء
كل به قيس إذا جنّ الدجى نزع الإباءَ وباح بالبُرحاء
فاذا تداركه النهارُ طوى المدا مع فى الفؤاد وظُنّ فى السعداء
لا تعلم الدنيا بما فى قلبه من لوعةٍ ومرارةٍ وشقاء

كلّ له « ليلى » ومن لم يَلقها فحياتُه عبثٌ ومحضُ هباء
كلٌّ له « ليلى » يرى فى حبها سرَّ الدنى وحقيقةَ الأشياء
ويرى الأمانىَ فى سعير غرامها ويرى السعادةَ فى أتمِّ شقاء
الكونُ فى إحسانها ، والعمرُ عند حنانها ، والخلدُ يومُ لقاء
يا للقلوبِ لقصةٍ محزونةٍ لم تُروَ إلا رُوِّحَت ببكاء
خلدتْ على الدنيا وزادت روعةً مما كساها سيدُ الشعراء
خلدتْ على الدنيا وزادت روعةً من جودةِ التمثيلِ والالقاء
مِن فنِّ (زينبها) ومن (علاّمها) زينِ الشبابِ وقدوةِ النبغاء

ابراهيم ناجى

— ٧ —

من سماء الخلود

(القيت فى حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة)

مِنْ سماء الخلود أسمعُ حيًّا ردَّدَ اللحنَ فى السماء شجيًّا
شاعرَ الخُلْدِ يُطربُ اللهَ فى الأخرى بلحنٍ لم يَخْفَ عن أذُنَيّا
قُلتُ لمّا سمعتهُ : يا إلهى قد سمعنا ندّاً له فى الدنيا
فأهاب الإلهُ بى : ذاك شوقي يقرأ الشعرَ فى السماء عليّا
قلتُ : لكنْ جَنى المماتُ عليه وهْوَ فيما يقول لم يَجْنِ شيّا
قال ربى : إنَّ المماتَ وفاءٌ تلك عاريَّتى ورُدَّتْ إليّا
أرسلُ الناسَ فى الحياة وأزجى رُسُلَ الموتِ خلفَهم نتهيّا
فإذا نادَتْ المنيةُ خفَّتْ لنِدَاها النفوسُ حيّاً فحيّا
كلُّكمْ سائرٌ إلى الموتِ يوماً ليس منكم مخلَّدٌ يا بُنيّا

ومن الناس ميّتٌ فى حياةٍ ومن الناس مَنْ يموتُ ليحيا

* * *

نحن نُجرى الدموعَ فى مَوْقِفِ الذِّكْرَى ونبكيكَ شاعراً عبقريّا
إنْ يَكُ اللهُ فَضَّلَ النثرَ يوماً بكتابٍ قد أعجزَ العَرَبيّا
أنت أعجزْتَ دولةَ الشِّعْرِ فى الضَّادِ وسُقْتَ العزيز منها سَبِيّا

* * *

مِرْتُ بين القبور يا مصرُ والدَّمْعُ سَكوبٌ مُعَذِّبٌ عَيْنَيّا
وتَبيَّنْتُ بَينها جَدَثَ الشِّعْـ ـرِ يُوارِى شعاعَهُ القُدُسِيّا
فبعثْتُ الشجونَ عن مصر والشَّرْ قِ فقدْ عانَيا المصابَ سَوِيّا
قلتُ يا ساكنَ الجنانِ أما مِنْكَ إلينا شَوْقِيَّةٌ تتهيّا ؟
كم سَعَيْنا إلى التُراب حنيناً واستمعنا إلى الرُفاتِ مَليّا
فرأَيْنا السُّكونَ يَمْشى على القبر كأنَّ المكانَ باتَ خَلِيّا !
فسألْناكَ هل نسيتَ هوَى النيلِ وكنتَ المولَّهَ المَشْجِيّا ؟
فأجابَتْ نداءَنا نَفَثاتٌ مِن سماءِ النُّهى وجَوِّ الثُرَيّا
هو ما زال فى غرامِكِ يا مصـ ـرُ يُعانى من الشجونِ العَتِيّا
ولو آنَ الآذانَ تُرْهِفُ للخُلْدِ لأَلْفَتْ حنينَهُ السَّرْمَدِيّا !

* * *

فاتَّجَهْنا إلى الخلودِ حَيارَى نسأل الطَيرَ لحنَهُ العبقريّا
فلمحْنا فى جَوِّه روحَ شوقى تَعِباً ، يائساً ، حزيناً ، شقِيّا
فهتفْنا: يا ساكنَ الخُلْدِ غرِّدْ فأجابَ : البكاءُ أَرْضَى إليّا
وَطَنى لو شُغِلْتُ بالخُلْدِ عنه لتَمنَّيْتُ أنْ يُرَدَّ عَلَيّا
كيف أَسْلو وقد تَرَكتُ (حُسَيْنا) فى حِماه ؟ وكيف انْسَى (عَلِيّا) ؟
كيف اسْلوكِ جَنَّةَ اللهِ فى الار ضِ وأنتِ التى رَعَيْتِ بَنِيّا ؟

قد رضعتُ الحنانَ منكِ وليداً ... فعرفتُ الغرامَ فيكِ صَبيًّا
وتفانَيْتُ فى الهَوَى أو تناهيتُ وإنْ لم يَزَلْ غرامُكِ حيًّا !

* * *

أَنا يا مصرُ كمْ أَحِنُّ إلى النِّيلِ وماءٍ له حبيبٍ لدَيَّا
كم حملتُ اليراعَ تحت ظلالٍ ... كنتُ فى كرْمَةِ الهَوَى أَتَغنَّى
وقطَعْتُ الزمانَ أكتبُ ما يُو ... حِى وما يبعثُ الغرام إليَّا
أَنا يا مصرُ لا أَحيدُ عن العَهْدِ ولكنْ أَرى القضاءَ عتيًّا

* * *

لاحَ مِنْكَ الوفاءُ يا شاعرَ الشَّرْقِ يُرَوِّى غرامَكَ الأَبديَّا
أَسبَاكَ الرَّدَى وما كنتَ يا شوْ ... قى لغيرِ الجمالِ يوماً سَبيًّا ؟
كفَّنَتْكَ الحياةُ فى سُحُبِ الخُلْدِ فلم تَحْجبْ الشعاعَ السَّنيَّا
والذى تلمح البريَّةُ منه ... رقَّةَ القلبِ وابتسامَ المُحَيَّا
ورياضاً من الخيالِ تعهَّدْتَ فطابَتْ بَنهلِ روحِكَ ريًّا

* * *

أَنا فى مصر سامعٌ لوعةَ الشرقِ ودَارٍ بمهجَتَيْهِ الدَوِيَّا
يذرفون الدموعَ فى مَأتمِ الليلِ وفى مَأتمِ النهار سَوِيًّا
وَيَذُوبُونَ حَسْرَةً والْتِيَاعاً ! ... كُلَّما يسمعونَ عَنْكَ الرَوِيَّا

* * *

لم يَرُعنَا مُعَمِّرٌ يَغْلِبُ المو ... تَ وَيَحْيَا فى دهرِهِ مَنْسِيًّا
والذى راعَنَا وراعَ المنايا أَنْ تموتَ الجسومُ والذكرُ يَحيَا!

صالح جودت